عبدو

سيرة ذاتية: حقيقية في خيالها وخيالية في حقيقتها!
جزء من احداثها حدث، وجزء يحدث، والباقي سيحدث :)

أحمد شلبي
ماينوث، ايرلندا
06/09/2024

عبدو

سيرة ذاتية: حقيقية في خيالها وخيالية في حقيقتها!
جزء من احداثها حدث، وجزء يحدث، والباقي سيحدث :)

كل منا حتماً يصارع شيئاً ما بداخله. كانت هذه هي اجابتي عندما سألني احد أصدقائي ونحن نلتف حول حلقة الشاي المشتعلة، ونشوي بعضاً من حبات الذرة اللذيذة بحقلنا بعد منتصف الليل. مجموعة من أصدقاء الطفولة، كنا بالأمس نلعب هنا ونحن أبناء الخمس سنوات، وفي غفلة من أمرنا صرنا فجأة على مشارف الأربعين.

كنا نتساءل يوماً كعادتنا عن أمور مجردة يصعب الكلام عنها، وكأننا ننفس عما هو عالق بأرواحنا من هموم؛ لنتركها تتحرر من قيود صدورنا كتلك الشرارات التي تتطاير امامنا من النار. سألني أحدهم عن أهم الأشياء التي تعلمتها في حياتي وخلال سفري بما انني ذلك الصديق المتواجد في الشلة الذي جاب البلاد وعرف الكثير والكثير من أحوال العباد. لم أتردد كثيراً في الإجابة وكأنني أحفظها عن ظهر قلب. قلت له تعلمت الا احكم على احد مهما عرفته من خارجه الذي يحاول ان يبديه، وان أشفق على البشر جميعاً، **فكل منا حتماً يصارع شيئاً ما بداخله**.

تعجبوا من سر هذا الكرم المبالغ به مع البشر. فبدأت في حكاية قصة غريبة حدثت معي منذ اكثر من عشر سنوات عندما سافرت لأول مرة في حياتي خارج مصر.

كنت حينها على مشارف الثلاثين من العمر، أدرس الدكتوراة في علوم الحاسب النظرية بمعهد هاملتون الذي يقع بمدينة أيرلندية صغيرة جميلة تدعى ماينوث. من الخارج كان يراني الجميع أحمد، طالب الدكتوراة الذكي الاجتماعي اللطيف الذي يبدو متماسكا للغاية، على الأقل كان كل ذلك من الخارج، ولا اعلم حقاً ان كان هذا من حسن حظي ام من سوئه. لكن داخلي كان هناك فأر هائج أعرفه جيداً، يجلس وحيداً في صحرائه القاحلة الشاسعة، يقرض أظافره في توتر باستمرار، ويصارع في استماتة تلك الأشباح، أشباح الوحدة والجنون.

في أحد الأيام وصلت الى المعهد ووجدت الجميع يتحدثون عن فأر. فأر آخر غير فأري. فأر تسلل الى المبنى ويعيث فيه فساداً. يأكل الأوراق ويتسلل إلى ادراج المكاتب يأكل ما يدخره الطلبة من مكسرات وشوكولاتة وخلافه، ويترك فضلاته أينما أراد. ساعدته على ذلك حداثة المبني، فأرضية كل طابق عبارة عن طبقتين، طبقة اسمنتية تقليدية يوضع فوقها البنية التحتية من مواسير المياه واسلاك الكهرباء والانترنت وخلافه، ثم طبقة اخرى حسنة المظهر تغطي الطبقة الاولى، وبتلك الطبقة فتحات دائرية يمكن ازالتها بسهولة لنوصل اجهزتنا بالانترنت والكهرباء. كان من السهل جداً لذلك الفأر ان يعيش بسلام بين هاتين الطبقتين ويتنقل بسلاسة بين طوابق المبنى دون أن يواجه أدنى مشكلة. كان الجميع مستائين منه ويريدون التخلص من وجوده الغير مرغوب به بأي ثمن لكن دون جدوى.

استمر الحال على ما هو عليه لعدة أسابيع. وفي أحد الأيام وصلت الى مكتبي حول الثامنة صباحاً كعادتي. عندما فتحت باب المكتب وجدته أمامي. صُعق

لرؤيتي وهمّ بالفرار والاختباء سريعاً وكأنه رأى بشراً، لكنني باغتته وقلت له بتوسل...

- أرجوك، لا تخف مني! أرجوك.

تفاجأت انه توقف واستدار ثم رفع رأسه ونظر إليّ، يبدو انه لازال هناك من يفهمنا في ذلك العالم الغريب. تلاقت أعيننا لدقائق في صمت، كانت عيناه عسليتين جميلتين للغاية لكنهما مرتبكتين. أستطيع ان أرى وحدته بكل وضوح، أعرف تلك العيون جيداً، أراها كل صباح في مرآتي. يبدو كذلك أنه أبصر ذلك الفأر الهائج الوحيد القابع بداخلي. اقتربت منه وفتحت له راحة يدي، صعد عليها ببطء، ثم اقتربت برأسي من رأسه وتنفست بعمق. ثم وجدت أنفي تفرك انفه برفق قائلاً...

- مرحبا، هذا صديقك أحمد.

ومنذ تلك اللحظة بدأت صداقتي الخفية عن أنظار الجميع مع ذلك الفأر الجميل الذي سميته عبدو.

من يعرفني جيداً يعلم انني أنا والجبن لسنا بالمقربين اطلاقاً. لم أكن يوماً من المفتونين برائحته ولا بمذاقه. في طفولتي أثناء الدراسة كانت امي تجهز لنا انا واخوتي ساندويتشات الجبن يومياً لمدة لم تقل عن عشر سنوات، وبالمناسبة كان نوعاً واحداً فقط من الجبن اتذكره جيداً رغم كل محاولاتي البائسة للإطاحة بمذاقه بعيداً عن لساني. اعتقد ان تلك المدة كانت كافية لتوصلني لحالة تشبع تصل أحياناً الى اشمئزاز في علاقتي مع الجبن. تلك الحالة التي يعلمها بالتأكيد الكثير والكثير من المصريين على الأقل من أبناء جيلي الشرفاء.

لكن من أجل عبدو كنت أذهب كل صباح لأشتري له قطعة جبن. كرهت أن اشتري له جبنا من تلك المتاجر العملاقة التي تشعرني بأني أقل من اللاشيء، تشعرني بأنني أنا السلعة هناك. بحثت من أجله عن محل للأجبان حتى وجدته في أحد الشوارع الجانبية البعيدة بماينوث. كان محلاً صغيراً يمتلكه مسن ايرلندي اسمه رونان.

رونان رجل نقي للغاية، قلبه أبيض كملاءة سرير جدتي. دمه خفيف لكن لسانه بذئ بعض الشيء. ورث محل الجبن عن أبيه بعد وفاته. يعيش هو وزوجته نورا في الطابق الأعلى. وجد فيّ الابن ومنحته أبوة لم يرزقه الله إياها، كنت أعتبره كأبي تماماً. انه يشبهنا تماماً نحن المصريين، لولا شعره الأحمر لقلت لكم انه من شبرا دون مبالغة. علاقتي به كانت علاقة مصاطب مصرية بامتياز، كلانا يعشق الضحك والمزاح والقهوة. علاقة دافئة مليئة بالتهكم والسخرية من انفسنا بلا أي سياجات سخيفة من تلك التي يصنعها البشر بأيديهم ولم افهم يوماً قط لماذا يصنعونها.

أما نورا فكانت جميلة وكريمة للغاية، تعزمني تقريباً كل يوم على الغداء ولكن كان بها عيب واحد. عيب خطير للغاية! كانت دائما ما تطبخ البطاطس. البطاطس فقط! أرجوك لا تفهمني خطأ، لا اقصد أبداً الاستهزاء بما حدث بالماضي من مجاعة كبرى في ايرلندا وعلاقة ذلك بالبطاطس. أنا فقط أحكي ما حدث معي، نورا فعلاً لم تكن تطبخ شيئا سوى البطاطس، ليس لدي يد في ذلك اطلاقاً!

كنت اشعر بالبؤس الشديد لرونان ولها، ولكن ما ذنبي أنا لأنال هذا القدر من البؤس أيضاً في صحن غدائي كل يوم. كنت ألعن عبدو نفسه بسبب ذلك؛ فلولاه ما كنت أكلت كل هذا الكم من البطاطس. أكلت في طفولتي أطناناً من الجبن مرغما من يد امي، وأكلت في شبابي أطناناً اخرى من البطاطس من يد نورا، وغالبا سأكل أطناناً من شيء مجهول سأكرهه بكل تأكيد من يد زوجتي المستقبلية. وفي كل الأحوال لم ولن أملك الا ان أبتسم لهم جميعا بينما اداري امتعاضي الشديد وأنا ألعن نفسي من أعماق معدتي في صمت! كم أنا إنسان بائس لا يمتلك أدنى سيطرة على أبسط الأشياء في حياته.

كنت استيقظ مبكراً كل صباح أذهب مباشرة الى رونان، نفتح المحل سوياً، نحتسي القهوة التي أعدها وأنا أطمأن على احواله هو ونورا، ثم أخذ منه قطعة جبن تكلفني يورو واحد يومياً، واتجه بعدها مباشرة الى مكتبي قبل أن يصل اليه أي مخلوق، الى ذلك المشاغب عبدو.

أُخرج قطعة الجبن من حقيبتي وأضعها أمامي على المكتب، ثم أطرق بقدمي على أرضية المبنى خمس مرات وأقول بعدها **"عبدو، هيا الإفطار جاهز!"** فيخرج عبدو من مخبأه بسرعة. كنت قد اتفقت على تفاصيل تلك الطقوس الروحية معه سابقاً. كنت أبدو كالساحر الذي يستحضر أرواح الفئران. وفجأة تجده يصعد على المكتب وقبل أن يتناول افطاره، كان لابد أن يفرك انفه بأنفي كما يحب ويربت بيديه الصغيرتين برقة على وجهي. كانت تلك هي لغته في الحب وطريقته في الاطمئنان على حالي. كم كنت جميلاً يا عبدو! كان رقيقاً كأمي التي لم يفارق طيفها الحنون كياني أبداً.

وفي أحد الأيام وقبل أن يبدأ عبدو في تناول افطاره، وجدته يقطع بيديه قطعة من الجبن ويقربها من فمي. لم أُرد أن أكسف يديه الرقيقتين وأُشعره بالخيبة وأُخبره بأنني لا أُحب الجبن. تناولت القطعة على مضض وبدأت في تذوقها على استحياء. كان مذاقها لا يوصف، كم هو جميل الجبن وكم كنت اظلمه أيضاً، كم كنت أحمقاً للغاية! تشاركنا الإفطار معاً منذ ذلك اليوم، ووجد فأري الهائج رفيق دربه في عبدو فاطمأن قلبه واستقر عقله.

كنت أخذه بعض الأحيان لنتمشى سوياً ونستنشق بعض الهواء. اضعه في حقيبة ظهري وافتح له جيبها الأوسط ليخرج منها برأسه ويرى ما يحدث حوله، وأضع معه قطعة جبن ليتسلى بها اذا جاع.

أتذكر جيداً ذلك اليوم الذي اخدته معي لنستمع الى حفل سيلعب به بعضاً من موسيقي باخ. وضعت حقيبتي على بطني وخرج برأسه ليشاهد بانبهار الأوركسترا الضخم المليء بالعازفين المتأنقين. أعتقد انه هو الاخر أحب البارتيتا الثانية للكمان المنفرد لباخ؛ لم يكن ليحبس أنفاسه ويبقى بهذا الهدوء داخل الحقيبة لو كان قطاً هو من يعزف على الكمان. لم يره احد يومها إلا عازفة كلارنيت جميلة كنت انظر لها من حين لآخر، كانت عينيها حزينتين للغاية، تلمست روحها التائهة. التقت اعيننا فابتسمت لها، رأت حينها عبدو يخرج برأسه هو الأخر من الحقيبة ويبتسم لها، كان يبتسم لفأرها ربما. ابتسمت هي الأخرى، كادت تضحك لكنها تمالكت نفسها عندما اشرت اليها واضعاً سبابتي فوق فمي ضاحكاً أنا الأخر. كم هي جميلة ودافئة حياة الفئران، نشعر ببعضنا بسهولة! أعتقد بل اكاد اجزم ان باخ نفسه كان بداخله فأر كبير رقيق للغاية، بل ربما فئران كثيرة!

كنت على وشك إتمام سنتي الثانية في الدكتوراة، وما زال متبقي لي سنتان آخرتان، كانت قطعة الجبن تكلفني يورو واحد يومياً كما تعلمون. خطرت لي فكرة ما، صنعت حصالة كبيرة من الخشب وكتبت عليها "عبدووو" واخذت صورة سيلفي لنا معاً ولصقتها عليها. كنت كل يوم بعد ان اشتري له قطعة الجبن أضع يورو آخر في تلك الحصالة.

ومرت الأيام بحلوها ومرها على هذا الحال حتى انتهيت من الدكتوراة وناقشت رسالتي وتبقى لي أسبوعين فقط في ايرلندا قبل العودة الى مصر. كان كل ما يشغل بالي حينها هو عبدو. كيف سأتركه وأرحل؟ لم يكن باستطاعتي اخذه معي الى مصر، ولم تكن بي رغبة ولا طاقة للفراق. فتحت الحصالة ووجدت بها ما يقارب السبعمائة يورو، اكملت المبلغ وجعلته سبعمائة ثم ذهبت الى رونان وأعطيته المبلغ قائلاً...

- خد يا رونان هذه النقود، أريد بها كلها جبن. اريدك أيضاً ان تقسمه على سبعمائة قطعة كل قطعة على حدا وأن تغلفهم جيداً.

تعجب العجوز من طلبي للغاية وسألني قائلاً...

- كف عن المزاح يا رجل، لولا أنني اعلم انك لا تشرب لقلت انك سكران! هل انت تعي ما تطلب؟ طائرتك بعد أسبوعين! ماذا ستفعل بكل هذا الجبن؟ هل انت مجنون؟

كنت اعلم ان ذلك سيحدث يوماً ما؛ فأنا لم اخبره عن عبدو من قبل، ولم يكن يعلم ان قطعة الجبن التي أخذها منه كل صباح لم تكن لي. عبدو كان

سري الخالص الذي احتفظت به لنفسي. حاولت اختراع أي مبرر منطقي لطلبي الغير منطقي لكنني كعادتي فشلت في الكذب.

صَمَتُّ لدقيقة عاجزاً عن الكلام انظر الى رونان على استحياء لا اعلم ماذا اقول، ثم قررت ان اخبره بحكايتي مع عبدو الذي لولاه ما كنت التقيت به. نظر اليَّ في صمتٍ لم اعهده منه من قبل وقال لي...

- لا استبعد هذا من مجنون مثلك يا أحمد... لا استبعد ذلك على الاطلاق.

ثم استطرد قائلاً...

- سأكون افضل منك على كل حال... سبعمائة قطعة جبن من صديق لرفيقه! فلنكملها ألفاً من أب لابنه... لكنني سأنقص واحدة ولنجعلهم تسعمائة تسعة وتسعون من أجل عبدو، فهذا هو رقمي المفضل.

حضنته بقوة ثم جهزنا قطع الجبن معاً. كانت كمية مهولة تكفي عبدو لثلاث سنوات على الأقل حسب تقديري. غلفنا القطع بحرص بالغ حتى لا يصدر منها أي رائحة ممكنة. ظللت أذهب كل يوم بعد منتصف الليل الى المعهد حيث لا يوجد احد هناك واخفي قطع الجبن بحذر شديد في تلك الفتحات الموجودة في أرضية المكاتب بكل طوابق المبني. استغرق الأمر مني عشرة أيام حتى تمكنت من إخفاء كل الكمية.

وفي اليوم الأخير، تناولت الإفطار مع نورا ورونان الذي عرض توصيلي الى المطار ظهراً. ودعتهم طويلاً وشكرتهم من أعماق قلبي. لم يخلو وداعنا من المزاح رغم أنف الدموع. اخذت من رونان أخر قطعة جبن سأشتريها لعبدو وانطلقت بعدها الى مكتبي لأودعه.

وضعت قطعة الجبن أمامي على المكتب، ثم طرقت بقدمي المرتعشة على أرضية المكتب خمس مرات، قائلاً بصوت مختنق وبالكاد يُسمع **"عبدو، هيا الإفطار جاهز!"** خرج مطأطأ الرأس دون أن يلتفت حتى الى الجبن. يبدو انه يعلم انني سأرحل؛ فلماذا سأدسّ له كل هذا الجبن إذاً؟ نظر اليّ طويلاً، رأيت دمعة تتلألأ في عينيه العسليتين التي لم اجرؤ حتى على النظر اليهما. لم أره بذلك الحزن منذ أول مرة قابلته فيها. اغمضت عيني التي كانت تتراقص بها دمعة هي الأخرى واقتربت برأسي منه. فركت انفي بأنفه بينما كنت أخبره بخطتي التي صنعتها من اجله بخصوص الجبن. ثم تنفست عميقاً وفتحت جفوني التي تحررت من سجونها أخيراً تلك الدمعة التي احتجزتها طويلاً، ثبتّ عيني بعينيه لدقيقه ثم قلت له...

- اسمع يا عبدو، سأرحل الآن ولا أعلم ان كنا سنلتقي مرة أخرى ام لا. اهرب من هذا المكان فوراً اذا سنحت لك الفرصة... اهرب واياك ان تنظر خلفك او تندم على شيء فاتك. ولا تنسى يا عبدو أقصد لا تخشى... لا تخشى كما خشى صاحبك أن تعشق.

ثم تركته وهربت. كنت اشعر بطيفه المنكسر يراقبني من نافذة مكتبي لكنني كنت أجبن بكثير من أن ألتفت، وأهشّ بكثير مما توقعت.

لم تنتهي الحكاية هنا يا أصدقائي كما اعتقدت، فبعد مرور أكثر من سنتين على عودتي لمصر، استيقظت صباحاً على صوت بريد الكتروني جاءني من **داميان** مشرفي اثناء الدكتوراة. تسارعت ضربات قلبي وتوترت لدرجة لم استطع معها ان امسك بهاتفي وافتح الايميل. كنت اعتقد ان شيئاً حدث

وانهم لسبب ما اكتشفوا ما فعلت بعد مراجعة كاميرات المعهد. كنت خائف من ان يتخلصوا من الجبن أو ان يجدوا عبدو.

اخذت موبايلي ودخلت الحمام. تمالكت يديّ المرتعشتين بصعوبة وتمكنت بعد دقائق أخيراً من فتح الايميل، قرأت اول سطر ثم تنفست بعدها بارتياح. كان داميان يدعوني لإعطاء محاضرة ضمن سلسلة المحاضرات التي يقيمها المعهد كل عام للحديث عن ابحاثي التي قمت بها اثناء الدكتوراة. كدت اطير من الفرح، سأرى عبدو مرة أخرى. وافقت فقط من أجله، وتحملت من أجله فقط ثقل دم مدام نجلاء موظفة السفارة التي ارهقتني اثناء استخراج التأشيرة الجديدة، والتي لو استطيع ان احجز لها طائرة خاصة الى سيبيريا ذهاب بلا عودة لما ترددت للحظة.

وصلت الى دبلن بعد منتصف الليل. حاولت ان انام لكنني لم استطع، كنت افكر في المجهول الذي ينتظرني بالغد. في الصباح اخذت القطار باكراً وتوجهت الى ماينوث. ذهبت الى محل رونان لكنه كان مغلقاً، لايزال الوقت مبكراً جداً. قررت المشي لساعة استعيد بها ذكرياتي في هذا المكان ولأتخلص ان استطعت من أي أفكار لن تفيد. قطعت المدينة كلها سيراً ثم عدت الى المحل الذي رأيته مفتوحاً من بعيد. وقفت اتأمل رونان للحظات من الباب الزجاجي وهو يقطع قطعة جبن لأحد الزبائن. وقفت صامتاً تماماً، فقط كانت هناك ابتسامة هادئة على وجهي. استدار وهو يقطع الجبن فالتقت اعيننا. وعلى عكس عادته وقف هو الاخر يتأملني للحظات لم نفعل فيها شيئاً سوى الابتسام. فتحت الباب ودخلت، قال لي ببذاءته المعهودة والمتوقعة وهو يلكمني بكتفي قبل ان يخنقني من شدة العناق...

- تباً لك يا رجل، لماذا لم تخبرني بقدومك؟
- أردت ان افاجئك يا رونان، لكن يبدو انني كنت مخطئاً؛ فأنت رجل مسن للغاية وقد تموت من مفاجئات كهذه، أسف أيها الرجل العجوز.
- عجوز! من العجوز فينا؟ انا اكثر شباباً منك أيها البائس.
- دعاني مشرفي لإلقاء محاضرة عن أبحاثي خلال الدكتوراة لهذا انا هنا مرة أخرى لمدة أسبوع.
- كان عليك ان تخبرني لأرتب اموري يا رجل.

ثم استطرد وهو يسحبني من ذراعي قائلاً...

- لا جبن إذاً ولا زبائن، اليوم اجازة على شرفك أيها المصري! هيا بنا الى نورا، ستسعد كثيراً لرؤيتك.

اغلقنا المحل وصعدنا الى نورا. احتسينا القهوة في بلكونتهم الجميلة الصغيرة واطمأننت على احوالهم التي اعرفها جيداً كل شهر وبالتفصيل الممل، اعطيتهم هداياهم التي جئت بها من مصر. كنت انوي احضار القليل من المشْ لرونان لأُريه الطريقة المثلى التي ينبغي ان يكون عليها الجبن، لكنني تراجعت في أخر لحظة خوفاً على صحته؛ لأنه لو نجا من الموت فلن ينجو حينها من الإدمان، وللأمانة خوفا عليّ أنا أيضاً في المطار من أي سوء فهم قد يحدث من وراء هذا المركب غريب القوام، عجيب المذاق، المثير للريبة ومعهم كامل الحق في ذلك.

اقتربت الساعة من الحادية عشر فاستأذنت للذهاب الى الجامعة فلم تتبقى سوى ساعتان على موعد المحاضرة، عندها اخبرتني نورا...

- العشاء عندنا اليوم على كل حال، اعتقد انه لا داعي لقول ذلك فهذا شيء مسلم به!
- بالتأكيد يا نورا، اشتاق كثيراً الى اكلك. ماذا ستطبخين لنا اليوم من وصفات مطبخك الغني والمتنوع للغاية!

كان تعلم اني اتهكم عليها كعادتي وكانت تعلم انني على حق؛ لم تفعل شيئاً سوى ان عضت على اسنانها وابتسمت في غيظ تنتظر المزيد من التهكم، وتعلم انني لن اخيب ظنها وسأفعل بكل تأكيد.

- دعيني اخمن يا نورا!

بعد لحظات من ادعاء التفكير الكاذب الذي يعرفه ثلاثتنا عن ظهر قلب قلت لها مبتسماً...

- هذا يبدو معقد للغاية، اعتقد انك ستطبخين.. ربما بعضاً من البطاطس.. ربما.. من يدري حقاً!
- ستظل كما انت يا أحمد، يعتقد من لا يعرفك جيداً انك انسان جاد، لكنك في واقع الامر على النقيض تماماً، لا تجيد شيئاً في حياتك كلها سوى السخرية والمزاح.
- وما المشكلة في ذلك يا نورا، لن نخلد في هذه الحياة على كل حال، ولن نُبقي خلفنا سوى ذكرى تلك اللحظات المازحة. اتمني ان اظل كذلك للأبد ما دمت مدركاً للسياق. لكني اعدك انني سأكف تماماً عن السخرية هذا الاسبوع اذا فعلتي شيء واحد!
- ما هو؟

- ارجوك الا تطبخي أي بطاطس اليوم!
- تعلم نويت في سري منذ قليل الا اطبخ لك البطاطس لأنني كنت اشك في انك تكرهها، لكن عنداً فيك سأطبخها لك اليوم، لا بل سأطبخها لك طوال الأسبوع!
- كنت فقط تشكين! الم تكوني حتى متأكدة من ذلك؟ الى هذه الدرجة كنت بارعاً في التمثيل. أنا فخور من نفسي للغاية الان بكل أمانة.
- توقف.. سأموت بسببك.

ضحنا ثم هممت بالرحيل لكنني توقفت للحظات انظر الى رونان لا اعلم ماذا أقول، نظر اليّ قائلاً...

- اعلم ماذا تريد.. انت تريد قطعة جبن لصديقك القديم.

قرأ عيني الرجل العجوز فلم اجبه الا بإماءة وابتسامة خجولة فاستطرد قائلاً..

- هل تتذكر ذلك اليوم الذي جهزنا فيه قطع الجبن! انقصت يومها قطعة واحدة من الألف وجعلت عدد القطع تسعمائة وتسعة وتسعون واخبرتك حينها أنه رقمي المفضل. هل تعلم لماذا أحب هذا الرقم؟ لأنه رقم دافئ، رقم يترك دائماً فرصة اخرى للقاء، رقم متفائل. نعم يا احمد هناك أرقام متفائلة وأرقام متشائمة كالألف، الألف لا يعني شيئاً سوى النهاية والرحيل، انه صوت اغلاق الأبواب واقلاع الطائرات ونحيب الأحبة بعد أحضان الوداع. جعلت قطع الجبن تسعمائة وتسعة وتسعون ذلك اليوم لأرغم القدر على الاستماع الى رغبتي الدفينة في اللقاء وها نحن ذا نلتقي ثانيةً يا صديقي.

- قد صارت الفاً الآن يا رونان فهل تعتقد انها اذن النهاية. لا اتفق معك في نظريتك حول الأرقام لأنني سأثبت لك خطئها من جديد. تستطيع انت ذاتك ان ترغم كل الأرقام على التفاؤل وتزورني انت ونورا في مصر، استطيع استضافتكم الى الابد.

ثم نظرت الى نورا مازحاً...

- احذري يا نورا. انت الآن تعيشين مع رجل عجوز يقرأ العيون ويفهم ماذا يريد البشر دون كلام. تعيشين مع فيلسوف عميق، عميق للغاية! ورياضي فذ، فذ للغاية! يشرّح نفسية الأرقام بسكاكينه الحادة كالجبن ويميز المتفائل منها من المتشائم. احذري يا نورا. احذري!
- تباً لك! نعم يا نورا انه لن يتغير أبداً مهما حدث له.

نزلنا بعدها نضحك الى المحل، قطع قطعة جبن كبيرة واعطاها لي قائلاً...

- اتمنى من كل قلبي ان تجد صديقك كما تركته!

شكرته وذهبت الى المعهد، استقبلني داميان الذي اخذني الى مكتبي السابق ليعرفني على أعضاء المجموعة البحثية الجُدد. بدأ قلبي يخفق بشدة، ها انا ذاهب الى عبدو. سلمت عليهم دون انتباه يُذكر، كنت احملق فقط في مكتبي هناك يجلس عليه احد الطلاب الجُدد. حاولت التماسك لكنني لم استطع، طلبت منه بأدب الوقوف من كرسيه لأفعل شيء ما، كان لطيفاً للغاية وقام على الفور.

فتحت حقيبتي واخرجت قطعة الجبن ووضعتها أمامي على المكتب، ثم طرقت بقدمي خمس مرات قائلاً **"عبدو، هيا الإفطار جاهز!"** وانتظرت

لدقائق لم يحدث خلالها أي شيء. أين عبدو؟ توترت بشدة وبدأ الدم يتنافر بسرعة في عروقي. لم يفهم أحد ماذا يحدث، وبالتأكيد كانوا جميعاً يتساءلون عن ماهية ذلك الأحمق الذي يجلس هناك يضرب الأرض بقدمه ويكلم نفسه، بل جاء الى هنا لإلقاء محاضرة من المفترض ان تكون علمية. كررت الطقوس مرة ثانية وثالثة دون جدوى. أُصبت بخيبة أمل كبيرة. ساد الصمت لدقائق دون أن ينطق احد بكلمة. وددت حينها لو أرحل، لكنني امسكت بقطعة الجبن والقيت بها محبطاً في حقيبتي وطلبت من داميان الذهاب الى صالة المحاضرة فلم تتبقى سوى عشر دقائق.

وضعت اللابتوب الخاص بي أمامي على المكتب وبدأ الحضور يتوافدون. قام داميان وقدمني للجميع. بدأت بإلقاء المحاضرة بلا أي رغبة او دافع. بعد مرور عشر دقائق فتحت حقيبتي لإخراج جهاز الليزر الخاص بي للإشارة لبعض المعادلات على شاشة العرض. علقت قطعة الجبن به وانا اخرجه. القيت بها امامي على المكتب مواصلاً الشرح. كان الجميع ينظرون اليّ بإمعان منتبهين لما أقول. بعد مرور عدة دقائق التفت فلم اجد أحداً ينظر اليّ على الاطلاق. كانوا ينظرون بدهشة الى ما يبدو شيئاً ما على المكتب.

كان ذلك اللعين عبدو يقفز هناك بجوار قطعة الجبن في سعادة غير معهودة، محركاً قدميه يميناً ويساراً كبندول ساعة عتيقة دبت فيها الحياة مرة أخرى. تسمرت مكاني، قدماي المرتعشتان لا تقدران على حملي اكثر من ذلك. جلست الهث على الكرسي انظر اليه لدقائق غير مستوعب ما يحدث.

كان يخفي يديه وراء ظهره، اقترب مني ثم فتح يديه امامي. كانت هناك قطعة جبن صغيرة بين يديه، يبدو ان هذا ما أخره على تلبية ندائي منذ دقائق؛ لابد انه كان يقطع لي قطعة من الجبن الذي خزنته له لنتناول افطارنا معاً كما اعتدنا. سامحتك إذاً أيها اللعين. اقترب مني ووضع قطعة الجبن في فمي، كانت أجمل قطعة جبن تناولتها بحياتي!

جلس الجميع مندهشين عن ماهية ذلك الشاب المصري غريب الأطوار الذي جاء لتوه من بلاد هي الأخرى غريبة الأطوار، تبعد عن هنا ألاف الاميال، ويعرفه بل ويُطعمه ذلك الفأر اللعين غريب الأطوار هو الآخر الذي كاد أن يدفعهم جميعاً لسنوات الى حافة الجنون. لا يعلمون انه لولا ذلك الفأر اللعين لسقط هذا الشاب من حافة الجنون تلك منذ سنوات.

فتحت له يدي اليمنى التي صعد عليها بكل ثقة، رفعته عالياً على عرش راحتي كالملك فوق رؤوس الجميع. ثم اخفضت يدي ببطء حتى صار وجهه بموازاة وجهي. التقت اعيننا مرة أخرى، اعيننا التي يملؤها الحنين. تنفسنا سوياً بعمق، دافئة أنفاسه، كم كنت اشتاق اليها. كم كنت اشتاق اليك أيها اللعين!

فركنا انفونا كما اعتدنا، عندها فتح عبدو يديه الصغيرتين واحتضن وجهي برقة واضعاً جانب رأسه على خدي وسط ذهول الجميع الذين كانت افواههم مفتوحة على اتساعها عندما حدثت عبدو وقلت له...

مرحباً.

لأسباب جدية للغاية تتعلق بسلامته الشخصية، رفض عبدو مشاركة صورة السيلفي التي التقطها معي، وكان من الواجب عليّ احترام قراره أياً كان. لكنه كان كريماً بما يكفي ولم يمانع مشاركة صورة القليل من فضلاته معكم في حال ان كنتم مهتمين :)